السيد الباز العرينى

أجنـــاد الروم

١٩٥٦

مطبعة نهضة مصر بالفجالة
القاهرة

أجناد الروم

Themes

لم يوجد فى اللغة اليونانية عن أجناد الدولة البيزنطية بحث منظم سوى ما ورد فى المؤلف الذى وضعه قسطنطين بورفيروجنيتوس عن الأجناد أو الثغور De Thematibus فى القرن العاشر الميلادى وما صنفه Philotheos Protospatharios عن رتب الجيش وقادة الثغور أو الأجناد فى بداية القرن العاشر الميلادى . على أن قسطنطين أشار إلى ما تقاضاه هؤلاء القادة من أرزاق ورواتب زمن الامبراطور ليو السادس (٨٨٦—٩١٢ م) . وأورد قسطنطين أسماء واحد وثلاثين ثغرا . غير أنه يبدو أن هذه الثغور أو الأجناد كانت أقل عدداً وأكثر اتساعاً مما صارت إليه زمن الامبراطور قسطنطين بورفيروجنيتوس (٩١٢ — ٩٥٩)[1] ، Constantin Porphyrognitus .

لذا ينبغى أن نتعرف إلى الظروف التى أدت إلى ظهور نظام الأجناد أو الثغور البيزنطية والخصائص التى تميزت بها وأهمية هذا النظام فى كيان الامبراطورية البيزنطية ثم عوامل انهياره .

عمل أباطرة الدولة الرومانية الشرقية على إضعاف ما بالجيش الرومانى من الجند المتبربرين المعروفين بالمحالفين أو المعاهدين Foederati الذين حصلوا على أراضى داخل حدود الامبراطورية . فأدخل الامبراطور ليو الأول فى الجيش جنداً من قبائل تفوق المتبربرين قوة وإقداماً مثل الإيسوريين والأرمن النازلين بالمرتفعات الأسيوية . وتألفت منهم فرق من الفرسان

---

(١) انظر Brooks : Arabic Lists of the Byzantine Themes. Journal of the Hellenic Studies Vol. XXI (1901) p. 67

الدارعين الذين اشتهروا بالمهارة فى الرماية ، وبفضل هؤلاء الفرسان أحرز الأمبراطور جستنيان انتصاراته الباهرة[1] . غير أن الجند المأجورة خلفت نظاماً مالبث أن انتشر حتى عم الجيش كله . ومن مساوىء هذا النظام أن القائد لا الحكومة المركزية هو الذى يتولى تجنيد رجاله والإنفاق عليهم ، إذ لم يكن نظام الفرق الحربية معروفاً وقتذاك ، وغدت كل طائفة تنتمى إلى قائدها وتتسمى باسمه ، واشتهرت هذه الطوائف باسم Bucellarii[2] .

ثم حل بهذا النظام الفوضى والاضطراب بفضل ما درج عليه جستنيان من إضعاف شأن القادة العسكريين ، فلم يعد يغدق عليهم أموالا وفيرة ، مما أدى إلى انتشار حوادث التمرد والثورات فى صفوف الجيش . يضاف إلى ذلك أنه ترتب على سوء الأحوال الاقتصادية فى الأمبراطورية أواخر زمن جستنيان وزمن خليفته جستين الثانى أن انخفض عدد الجند المرتزقة بالجيش البيزنطى ، وأفاد من ذلك الامبراطوران تيباريوس وموريس فعملا على القضاء على هذه الطوائف المأجـــورة وأعادا تنظيم الجيش البيزنطى على أساس جديد[3] . وقامت الحكومة المركزية بهذا العمل ، فتألف الجيش من وحدات يتراوح عدد كل منها بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ جندى بقيادة القومس Comes ، فإذا اجتمع منها ست أو سبع أو ثمانى وحدات معاً تكون منها ما يعرف باسم moira بقيادة الدوق moerarch . وحرص الأباطرة على ألا تكون أعداد الجيش معلومة أو محدودة حتى لا يقف العدو على أسراره وكفايته . ولم يوجد بالجيش البيزنطى من قبل من الفرق الدائمة إلا الفرقتان المعروفتان باسم Bucellarii (البقلار) و Optimati ، وتألفتا من الجنـد الأجانب الذين تكون منهم الحرس الامبراطورى . وأدخل الأمبراطور

(١) أنظر Ernest Kantarowicy : Feu dalism in the Byzantine Empire p. 154
Runciman : The Byzantine Civirlisation p. 136

(٢) Runciman : op cit p. 138

(٣) Runciman : op. cit p. 139

موريس نظام الجيش الإقليمى ، فنصح بأن يتعلم جميع الرجال الأحرار الرماية وأن يتزود كل منهم بالقوس والرمح حتى يستطيعوا الدفاع عن أقاليمهم حين تدهمهم الغارة[1] .

وإذ جرى قديما أن سهر على حماية أطراف الأمبراطورية الرومانية جيش الحدود المعروف باسم Limitanei المكون من جند من الفلاحين ، توارثوا مهنة الجندية وحصلوا مقابل الخدمة العسكرية على أراضى ، فلماذا لا يطبق هذا النظام على الأقاليم الواقعـــة فى قلب الدولة وفى آسيا الصغرى بعد أن تعرضت لغارات الأعداء من كل جانب ، وبعد أن انحسرت حدودها وأطرافها . فكأن الأخذ بنظام جيش الأطراف يتفق ما جرى من ابتداع نظام الثغور أو الأجناد[2] .

والأصل فى نظام الأجناد أو الثغور هو مرابطة بعض فرق الجند وهى المعروفة بلفظة themes فى إقليم معين للدفاع عنه ؛ ثم تلى ذلك تعيين قائد للجند يعرف باسم Strategos ، ثم أصبح هذا القائد يجمع فى يده السلطتين العسكرية والمدنية بالإقليم ، فصارت الأقاليم تعرف تبعاً لذلك باسم الأجناد أو الثغور[3] .

وإذا كان من خصائص حكومة الأقاليم (الأجناد) جعل السلطتين الحربية والمدنية فى يد حاكم الأقليم ، فمن الواضح أن هذا النظام كان معروفا فى إيطاليا منذ القرن السادس . إذ اجتمعت أقاليمها الثلاثة عشرة تحت زعامة قائد واحد ، تلقب أول الأمر باسم ارخون exarch لا باسم Strategos . وجرى هذا التغيير فى القرن السادس كذلك فى إفريقيـة ، إذ غدت الأقاليم الستة بأفريقيا خاضعة لسلطة ارخون زمن الإمبراطور موريس ، ومالبث الأرخون أن تلقب باسم ستراتيجوس ، وهو لقب قائد الثغر[4] .

(١) أنظر Runciman : op. cit p. 139
Kantarowicy : op. cit p. 156

(٢) Runciman : op. cit p. 140

(٣) Diehl : L'origine du regime des themes dans l'empire byzantin p. 237

(٤) Kantarowicy : op. cit p. 156

ونجمت هـذه التغييرات الخطيرة عن الرغبـة فى مقاومة ما تعرضت له الإمبراطورية فى الغرب من غارات اللمبادديين والمغاربة . ولعل غزوات الفرس والعرب التى تعرضت لهـا الإمبراطورية فى الشرق أوائل القرن السابع هى التى دعت إلى اتخـاذ إجراءات مماثلة . إذ ظهر إسم الأرمنياك Armeniacs لأول مرة زمن الإمبراطور هرقل على حد تعبير قنسطنطين بورفيروجنيتوس . وعلى الرغم من إشارة تيوفان إلى أنه تولى أمر هذا الثغر سنة ٦٦٧ حاكم بلقب سترانيجوس ، فإن معظم الروايات تعتبر سنة ٦٢٦ هى السنة التى بدأ فيها ظهور الأرمنياك ، وهذا يدل على أنه حدث قبل هذا التاريخ ما مهد لقيام هذه الحكومة الحربية الضخمة فى الشمال الشرقى من آسيا الصغرى ، وامتد سـلطانها من كيلكيا إلى البحر الأسـود فشملت الأقاليم المعروفة قديماً بإسم قبادوقيا وأرمينيا وهليسبونت وبافلاجونيا ، ولم يتضاءل حجمها إلا بعد قيام حكومات فى أقاليم Charisian - Sebastée - Chalde وبافلاجونيا[١] .

وفى النصف الثانى من القرن السابع أى حوالى سنة ٦٦٩ قامت حكومة إقليمية أخرى وهى المعروفة باسم الناطليق Anatolics شمل اختصاصها كل الجهات الواقعة بالجنوب الشرقى من آسيا الصغرى وبعض أجزاء قبادوقيا ، وليكونيا ، وبسيديا ، وأيسوريا ، وأجزاء من بامفيليا ، وفريجيا ، وتناقصت مساحتها بقيام ثغرى قبادوقيا وتراقيسيان[٢] .

ثم تلى ذلك قيـام ثغرين آخرين هما ثغر أبسـيكيون Opsikion والثغر البحرى . وعلى الرغم من أننا لم نعثر على اسم أول حاكم لثغر أوبسيكيون إلا سنة ٧١١ ، فالراجح أن هذا الإقليم غدت له صفة إدارية مستقلة فى سنة ٦٦٨ ، إذ يشير قنسطنطين إلى أن جند أبسيكيون هم الذين ينتظمون

(١) أنظر Drihl : op. cit p. 278
(٢) أنظر Drihl : op. cit p. 278

فى مواكـب الإمبراطور ، أى أنهم يمثلون ما هو معروف بالحرس الخـاص . وما لبث أن اندمج هؤلاء الجند فى القوات البيزنطية واسـتقرت قوات الحرس فى جهات بنطس ، وغلطه ومدن بثينيا ، وفريجيا ، ثم تناقصت مساحة هذا الثغر بقيام ثغرى Optimate ، والبقلار أواخر القرن الثامن[١] . وفى زمن قنسطنطين تـكون من جزائر بحر الأرخبيل والساحل المقابل لها من آسيا الصغرى الثغور الثلاثة المعروفة فى بحر إيجة ، وجزيرة ساموس ، كبيريوتس . Cibyreotes ، وربما تفرعت هذه الأقاليم عن ثغر واحد كبير يرجع إلى زمن سابق على عصر قنسطنطين[٢] ، ربما قام فى منتصف القرن السابع لحماية جزر الأرخبيل ، وامتد سلطانه على بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى من ترواده حتى كيلكيا[٣] .

أما ثغر تراقيسيان Thracesian فيرجع إنشاؤه إلى سنة ٧٤٠ ، واشتمل على الجهات الغربية من ثغر الأناتوليك ، واتخذ اسمه من اسم الحامية الأوربية التى جاءت من تراقيا ، وخضع قائده أول الأمر لحاكم الأناتوليك ، وكذلك قام ثغر البقلار فى القرن الثامن فى الجانب الشرقى من ثغر 'بسيكيون[٤] . فلم يكن فى آسيـا الصغرى زمن الأسرة الايسـورية سوى خمسة أجنـاد ، وهى على الترتيب فى الأهميـة : الأناتوليك ، الأرمنيـاك ، تراقيسيـان ، أوبسيكيون ، البقلار . وظـل نظـام الثغور الخمسة هو المعروف فى آسيا الصغرى حتى نهاية الأسرة الايسورية[٥] . والراجح

(١) أنظر Diehl : op. cit p. 279
(٢) Ibid. p. 280
(٣) Ibid. p. 281
(٤) Vasiliev : The Byzantine Empire p. 250
(٥) أنظر Vastliev : The Byzantine Empire p. 250
Bury : Histony of the Eastern Roman Emprie pp. 221 - 222

أنه جرى قبل مهاجمة المسلمين لأقاليم الأطراف أن انفصل من ثغرى الأناتوليك والأرمنياك جهات تكونت فيها حكومات Kleiourarchies اتخذ قادتها من الأجراءات والتدابير ما يستطيعون بها الدفاع عنها مستقلين عن حاكمى الثغرين الكبيرين . وعلى هذا النحو قام ثغر سيلوقية غرب كيلكيا بعد انفصاله عن ثغر الأناتوليك ، ونشأ ثغر خرسيانون من بعض جهات منتزعة من ثغر الأرمنياك⁽¹⁾ . أما قبا دوقيا الجنوبية التى تعرضت بحكم موقعها لغارات المسلمين من دروب كيلكيا فتألفت بها كذلك حكومة مستقلة ، وربما جرى ذلك أوائل القرن التاسع⁽²⁾ .

أنشأ الامبراطور تيو فيل (٨٢١—٨٢٩) ثغرين آخرين هما بافلاجونيا وخالديا ، بعد أن اقتطع جهاتهما من أملاك البقلار والأرمنياك وذلك للسيطرة على البحر الأسود بعد أن تعرض لأخطار المسلمين فى أرمينيا . وفى جنوب خالديا تقع دوقية كلونيا Koloneia وهى جزء من الأرمنياك ، وغدت مع قبادوقيا سنة ٨٦٣ ثغرين⁽³⁾ .

وعلى هذا النحو أخذت الثغور فى شرق الامبراطورية البيزنطية تنقسم وينبت منها ثغور أخرى نتيجة لما جرى من أخطار خارجية ولاعتبارات سياسية . إذ أدرك ليو الثالث بخبرته الخطر الذى يترتب على ما يتمتع به حاكم الإقليم (الثغر) من سلطة حربية قوية قد تدعوه إلى إعلان الثورة والوثوب إلى العرش⁽⁴⁾ .

أما الجهات الأوربية من الامبراطورية البيزنطية فقد تعرضت لما تعرضت له الأقاليم الأسيوية من تغييرات ، إذ قام فى صقلية قبل سنة ٦٥٤ ثغر مستقل لحماية غرب البحر المتوسط من خطر البحرية الإسلامية . وترتب

(1) Bury : op. cit p. 222
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٧٨
(2) Bury : op. cit p. 222
(3) أنظر Bury : op. cit p. 223
(4) Vasiliev : the Byzantine Empire p. 250

على زحف البلغار وتقدمهم نحو نهر الدنوب إنشاء قيادة حربية قوية فى تراقيا منذ سنة ٦٨٧ شمل سلطانها كل تراقيا حتى بحر إيجة وامتد نفوذها إلى البحر الأسود ، وتفرع عنها فى نهاية القرن الثامن حكومة (ثغر) مقدونيا⁽¹⁾ . ثم قامت حكومة ستريمون Strymon وحكومة اليونان Hellade لمقاومة غارات الصقالبة ، وشملت البيلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا وإلليريا حتى بحر الإيونيان ٢ . فاجتمع فى الجانب الأوربى من الإمبراطورية البيزنطية فى نهاية القرن الثامن أربعة ثغور وهى : تراقيا ، ومقدونيا ، وهيلاد ، وصقلية⁽³⁾

ونستطيع أن ندرك ما جرى من تطور فى هذه الثغور وانقسامها إلى ثغور جديدة منذ منتصف القرن التاسع الميلادى مما أورده جغرافيو العرب من أخبار عن هذه الثغور . اجتمع لدينا خمس قوائم أوردها هؤلاء الجغرافيون إذ أشار إليها ابن خرداذبه (المتوفى ٨٤٥ ، ٨٤٨) وقدامة بن جعفر (المتوفى حوالى سنة ٩٣٠) ، وابن الفقيه الهمدانى المتوفى حوالى سنة ٩٠٢ م والمسعودى المتوفى حوالى سنة ٩٥٦م ثم الإدريسى المتوفى حوالى سنة ١١٥٤م⁽⁴⁾ وتعتبر قائمة ابن خرداذبة أقدم قوائم الجغرافيين العرب ، كما أنها تسبق قائمة قنسطنطين بنحو مائة سنة . وجاء ترتيب الأجناد أو الثغور أو الأعمال أو البنود — وهى المصطلحات التى أطلقها هؤلاء الجغرافيون على الثغور — فى قائمة ابن خرداذبة على النحو الآتى :

(1) أنظر Diehl : op. cit p. 283
(2) Diehl : op. cit p. 284
Bury : op. cit p. 223
(3) Vasiliev : The Byzantine Emprie p. 250
(4) أنظر دى غويه : المكتبة الجغرافية .
ابن خرداذبة وقدامة فى الجزء السادس .
المسعودى : التنبيه والاشراف الجزء الثامن .
ابن الفقيه — لم يرد ذكر الثغور فى الكتاب الذى نشره دى غويه فى هذه المجموعة إنما ورد فى كتاب ياقوت المعروف باسم معجم البلدان طبعة ليبزج ج ٢ ص ٨٦٣ ، ج ٤ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣

طافلا	
تراقية	
مقدونية	
أفلاجونيه	
الأفطى ملطى	Optimatoi
الابسيق	Opsikion
ترقسيس	Thrakesioi
الناطلوس	Anatolikoi
سلوقيه	Seleukeia
القبادق	Cappadocia
خرسيون	Charsianon
البقلار	Bucellarii
ارمنياق	Armeniakoi
خلدية	Chaldia

وجعل ابن خرداذبة فى نهاية قائمته ثغرى سلوقيا وقبادوقيا[1] . ومن هذه الثغور أحد عشر ثغراً فى آسيا وثلاثة ثغور فى أوربا . وتتفق مع هذه القائمة وتطابقها القائمة التى أوردها الأدريسى[2] . أما القوائم الثلاثة الأخرى فهى التى أوردها ابن الفقيه وقدامة والمسعودى . وعلى الرغم من أن القوائم الأربعة الأولى تختلف فى ترتيب البنود أو الثغور فإن التشابه بينها بلغ من القوة ما يدعو إلى الاحتمال بأنها استقت معلوماتها عن مصدر واحد . بينما انفرد المسعودى بإيراد تفاصيل تدل على أنه استخدم مصادر أخرى . إذ أشار المسعودى إلى أن أرض الروم كانت من قديم الزمن على أربعة عشر

(١) ا
(٢)

قسما ، أعمال مفردة تسمى البنود ، كما يقال أجناد الشام . غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد وأطول»[1] وجعل المسعودى تسعة ثغور فى الجهات الآسيوية وخمسة ثغور فى الجهات الأروبية من الإمبراطورية البيزنطية . ورتب المسعودى هذه البنود على النحو الآتى :

الاقى ماتى وهو جيش التالك Anatolikoi

الأبسيق
ترقسين
بانطليا[2]
القبادق
البقلار
الأقطاط
الأرمنياق
فلاغونيه[3]

فهذه تسعة بنود دون الخليج مما يلى الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الإسلام ، والخمسة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية وهى :

طايلا
مقدونية
بيلبونسية
سالونيكه
تراقيا[4]

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ١٧٦
(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٧٧ ربما كانت الاناتوليك .
(٣) المسعودى : التنبيه والأشراف ١٧٨ ـ ١٧٩
(٤) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٨٠

وأشار المسعودى إلى أقاليم سيلوقيا وخرسبانوس (خرشنة)وكولونيا على أنها أقاليم فى بنود كيبريوتى Cibyreotes والأرمنيـاك وفلاعونيا[١] .
ويخالف المسعودى سائر المؤلفين فى أنه أضاف إلى الثغور الأوربية بيلوبونيز وسالونيك ، كما أضاف إلى الثغور الأسيوية كيبريوتى وكولونيا وأغفل ذكر بند الخالدية[٢] . وورد ذكر هذا الثغر فى قائمة ابن خرداذية . ولم يشر أى كاتب يونانى إلى ثغر طالايا ، بل إن قسطنطين جعل القسطنطينية تقع فى ثغر تراقيا ، وليس لذلك من تفسير سوى أنه برغم وقوع القسطنطينية فى تراقيا ، لم يخضع جند العاصمة لقائد ثغر تراقيا بل خضعوا لقائد الجند بها[٢] .
ويعتبر ابن خرداذية أول من أشار من كتاب العرب والروم إلى ثغور خالديا وسلوقية وخرسيانوس ، كما يعتبر أول من أشار منهم إلى قبادوقيا على أنها ثغر فألقى بذلك ضوءاً جديداً على حدود حكومات الثغور .

ويتبغى أن نتعرف إلى ما امتازت به هذه الثغور من خصائص . إذ من الملحوظ أن الحكومات الإقليمية اتخذت لها أسماء تميزت بهـا ، ولم تكن هذه الأسماء جغرافية خالصة ، شأن الأسماء التى جرى إطلاقها على الأقاليم التى تفرعت عن الثغور[٤] الأولى . فأسماء الأرمنياك ، الأناتوليك الكبريوتس ، الهيلاد (اليونان) ليست سوى أسماء أمم لا أسماء أقسام إقليمية[٥] .

يضاف إلى ذلك أن لفظة theme التى أطلقت فى القرن العاشر الميلادى على أقاليم الإمبراطورية البيزنطية لم يرد لها ذكر فى القرن السابع بل جرى

---

(١) أنظر Brooks : op cit p. 69
المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٧٩
(٢) أنظر Brooks : op. cit p. 69
(٣)
(٤)
(٥)

اصطلاح آخر ورد فى كل النصوص ، وهذا الاصطلاح هو exercitus الذى يقصد به الجيش ، فصار يعرف قائد صقلية بقائد جيش صقلية . Le chef de l'exercitus insulae siciliae . ثم صار لفظ theme يطلق على الإقليم بعد أن كان يطلق على فرق الجيش المرابطة بالإقليم[١] .

وعلى الرغم من أن كبار رجال الإدارة المدنية بالأقاليم لم يختفوا نهائياً دفعة واحدة ، فلا شك فى أنهم منذ القرن الثامن الميلادى أخذوا يفقدون بالتدريج ما لهم من نفوذ وسلطان ، حتى صارت الأمور المدنية فى يد القائد العسكرى بالإقليم[٢] .

وينقسم جيش الثغر عادة إلى قسمين أو ثلاثة أقسام ، يطلق على كل منها لفظة Turmarchy أو meré يتولى رئاستها قائد يطلق عليه Turmarch أو merarch وانقسم شطر الثغر بدوره إلى ثلاثة أقسام يسمى كل منها باسم moira يلقب قائده باسم Drungarius . واجتمع فى كل واحد من هذه الأقسام عشر جماعات Tagmata يتولى كل منها قائد[٣] .

واهتمت الامبراطورية البيزنطية بتحديد واجبات الفرق العسكرية المختلفة ، فمن واجبات جيوش الأجناد حماية الثغور من الغارات الخارجية . فإذا قام المسلمون بعبور الحدود ، تولى قائد المنطقة أو الجهة التى اجتازها العدو إخطار قائد الثغر بذلك ، فيقوم القائد بإنذار الأجناد المجاورة ويوجه قوة من فرسان الثغر لتعقب آثار المغيرين ، فيحتل المشاة الدروب التى ربما استخدمها المغيرون عند عودتهم. وفى الوقت ذاته تحشد الثغور المجاورة الجيوش الضخمة وتستعد للتجمع فى نقطة معينة ، يتوقعون أنها هدف المغيرين فإذا نجح توقيتهم ، وقع المغيرون فيما نصبه لهم خصومهم من كمين ، وربما قام

---

(١) أنظر Diehl : op. cit p. 287
(٢) أنظر Diehl : op. cit p. 288
(٣) Bury : op. cit p. 226

الجيش البيزنطى بهجوم مضاد ، وفى هذه الحالة يقوم الأسطول بمهاجمة السواحل الإسلامية وتخريبها[١] .

واشتهر البيزنطيون فى حروبهم بالحذر الشديد ، وتكتم ما وضعوه من خطط حربية . والذى دعاهم إلى اتباع هذه السياسة هو أن اعتداءات المغيرين والأعداء على أراضيهم بلغ من كثرتها وتكرارها ومفاجآتها ماجعل كل سياسة هجوميه تكاد تكون غير مجدية . كما أن الجيش البيزنطى لم يضارع الجيش الاسلامى فى ضخامة عدده . يضاف إلى ذلك ما تكبدته الدولة من نفقات طائلة فى إعداد جيشها ، فقامت الخطة الحربية على الإفادة من هذا الجيش بالحصول على أكبر نصيب من الربح بأقل تضحية ممكنة فى الأرواح والعتاد. وتضمن كتاب بيزنطى لم يعرف موقفه فى فن الحرب الإشارة إلى عدم الاندفاع واعتبار المخاطرة ضرباً من الحماقة والتهور ، كما حذر القادة من الهرب ومباغتة العدو لهم ، ونصحهم بألا يجعلوا جناحى الجيش مكشوفين ، وحث على اتخاذ الكشافة لارتياد المسالك والطرق ومعرفة أخبار العدو ، ونصح بإعمال الحيلة والمكيدة . على أن الفضائل والأخلاق التى ينبغى أن يتحلى بها الجندى من حفظ العهد والإبقاء على حياة الأسرى وعدم التعرض للنساء بالأذى وعدم استذلال العدو بعد استسلامه وخضوعه ، فلم تجد اهتماماً بالغاً من المؤلف ، بل أوصى القادة باتخاذ كل الوسائل التى تكفل لهم النصر من تضليل العـــدو والتجسس عليه والإيقاع بين صفوفه وإيهام الجند بالانتصارات الباهرة[٢] .

وربما أفاد البيزنطيون من هذه التدابير ، غير أن ما لديهم من قوة حقيقية تركز فيما اشتهروا به من الذكاء وما درجوا عليه من مهارة فى مقابلة أعدائهم على اختلاف أجناسهم ، فأخذوا أنفسهم بالتعرف إلى ما عند كل فريق

(١)
(٢)

من أعدائهم من خطط حربية ثم عمدوا إلى ابتداع أساليب لمواجهة هذه الخطط وإفسادها . . فالفرنجة مثلا كانوا ضحية لما اشتهروا به من الاندفاع والتهور ، أما الترك ومن إليهم من المجريين والبجناك فلا يقلون عن البيزنطيين فى المكر والخديعة ، وتألفت جيوشهم من جحافل ضخمة من الفرسان المشهورين بالخفة وسرعة الحركة ، فتطلب ذلك من البيزنطيين مضاعفة الحذر والإمعان فى قتال العدو ومحاولة قذف فرسانهم عن ظهور الخيل .

ولم تبد خطورة الصقالبة إلا فى الحروب الجبلية ، فإذا اشتبكوا مع البيزنطيين فى السهول حلت بهم الهزيمة . ويعتبر المسلمون أقوى هؤلاء الأعداء وأخطرهم ، إذ أن فى استطاعتهم حشد جيوش ضخمة والتحرك فى سرعة بالغة فضلا عن درايتهم بالفنون الحربية وأساليب القتال . ويرى البيزنطيون أن المسلمين يفتقرون إلى القدرة على تنظيم الجيش ، كما أن روحهم المعنوية سرعان ما يحل بها الانهيار عند وقوع الهزيمة بهم ، فإذا انتصر المسلمون فى معركة وامتلأت أيديهم بغنائم العدو ، ثم قفلوا راجعين مطمئنين إلى انتصاراتهم وغنائمهم ، ساروا الهوينى ولم يجعلوا لمباغتة العدو حسابا ، فإذا حدثت المباغتة ركنوا إلى الهرب . يضاف إلى ذلك سرعة تأثر المسلمين بالأحوال المناخية ، فالبرد والمطر ينالان من قوتهم ، ولا يخشى البيزنطيون لقاء المسلمين إلا لوفرة عدد قواتهم[١] .

على أن المسلمين أدركوا خطورة الروم على بلادهم ، واعتبروهم أخطر أعدائهم ، فأقاموا ثغوراً مقابلة لبلادهم . منها ثغور برية تلقى بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر . ومنها ما يجتمع فيه الأمران ، وتقع المغازى من أهله فى البر والبحر . وهذا ما يجرى فى الثغور المعروفة بالشامية[٢] . إذ أن ما يجمع من ثغورها من ارتفاع ينفق

(١) انظر Runciman : op. cit p. 144
(٢) قدامة ابن جعفر – كتاب الخراج – المكتبة الجغرافية ج ٦ ص ٢٥٢

مصالحها وسائر وجوه شأنها وهى المراقب والحرس والفوائير والركاضة والموكلين بالدروب والمخائض والحصون، وغير ذلك مما جانسه من الأمور والأموال ويحتاج إلى شحنتها من الجند والصعاليك . ورواتب مغازيها الصوائف والشواتى فى البر والبحر فى السنة على التقريب مائتا ألف دينار . والذى يلقاها من بلاد العدو ويتصل بها من جهة البر القبادق والناطليق ؛ ومن جهة البحر سلوقية[١] . ثم يلى الثغور الشامية وإلى جهة الشمال منها ما يعرف بالثغور الجزرية ، وأقام المعتصم عند نهوضه إلى بلاد العدو فى منتصف القرن التاسع حصوناً وثغوراً عديدة ، كل واحد بينه وبين بلد العدو درب وعقبة ، فثغر ملطية مع بلد العدو فى بقعة وأرض واحدة ، ويواجه هذه الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنه وعمل الخالدية[٢] . وأفاد المسلمون من البيالصة (Paulicians) الخاضعين لسلطة حاكم أرمينيا ، وعلى الرغم من أنهم من الروم فإنهم يخالفونهم فى كثير من مذاهبهم ، وكانوا مع المسلمين يعينونهم فى غزواتهم فيتوفر على المسلمين المعونة بهم إلى أن رحلوا دفعة واحدة من هذا الموضع بإساءة أهل الثغور معاشرتهم فتفرقوا فى البلاد وسكن مكانهم الأرمن وشيدوا الحصون المنيعة [٣] . وفى هذه الثغور تقع المغازى ومنها كانت النفقة حسب الغزاة . ويلى هذه الثغور وإلى الشمال منها الثغور المسماة بالبكرية التى تنتهى فى أقصى الشمال بثغر قاليقلا ، ويقابلها من أعمال الروم الأرمنياق ، وبعض عمل الخالدية ، ويقرب منها عمل أفلاغونية المتصل ببلاد الخزر[٤].

ثم وصف قدامة الغزوات الاسلامية : « تقع الغزوة الربيعة لعشرة أيام تخلو من آيار (مايو) بعد أن يكون الناس أربعوا دوابهم وحسنت

(١) قدامة بن جعفر : الخراج ص ٢٥٣
(٢) قدا[illegible] ٢٥٣
(٣) قد[illegible]
أنظر [illegible]
([illegible])

أحوال خيولهم ، فيقيمون ثلاثين يوما ، وهى بقية آيار وعشرة من حزيران (يونية) ، فإنهم يجدون الكلأ فى بلد الروم ممكناً وكأن دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً ، ثم يقفلون فيقيمون إلى خمسة وعشرين يوماً وهى بقية حزيران وخمسة من تموز (يوليه) حتى يقوى ويسمن الظهر ويجتمع الناس لغزو الصائفة ، ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون لوقت قفولهم ستين يوماً . فأما الشواتى فإن كان لابد منها فليكن مما لا يبعد فيه المحارب ولا يوغل وليكن مسيره عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره ، وأن يكون ذلك فى آخر شباط (فبراير) فيقيم الغزاة إلى أيام تمضى من آذار (مارس) فانهم يجدون العدو فى ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواباً ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون ويربعون دوابهم »[١] .

وتجلت قوة الجيش البيزنطى فى الفرسان المعروفين باسم Caballarii والمزودين بكامل الأسلحة ، فيضع الواحد منهم على رأسه خوذة من الصلب ، ويرتدى زردية ، ويتخذ ضباط وجند الصف الأول من الجيش أقنعة من الصلب لوقاية وجوههم ، ويلبس الواحد منهم فوق سلاحه ثوباً من الكتان أو الصوف حسبما تقتضيه الأحوال المناخية . أما السلاح فالسيف والخنجر والقوس والرمح . وجرت العادة بأن يتخذ فرسان كل فرقة من الجيش لوناً خاصاً لثيابهم وأعالى خوذاتهم ورءوس رماحهم . وتألف المشاة فى الغالب من الرماة ؛ وقامت أقاليم الامبراطورية البيزنطية بتقديم الجند المهرة فى استخدام الحراب ، لحلوا مكان الرماة . واشتهر المشاة كذلك بما اتخذوه من الدروع والرماح والحروب والسيوف والتروس . ومن الواجبات الملقاة على عاتق المشاة عبور الدروب الجبلية التى لا يستطيع الفرسان اجتيازها . أما النيران الإغريقيه التى تعتبر المظهر الأساسى للحروب البحريه عند

(١) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢٥٩
أنظر Vasiliev : Byzance et les Arabes
الترجمة العربية للدكتور محمد عبد الهادى شعيرة ص ٨٩ — ٩١

البيزنطيين فلم يلجأ الجيش إلى استخدامها إلا فى حالةحصار العدو للمدن[١].

وترتب على نظام الثغور تغييرات بالغة الأهمية أثرت فى الكيان الاجتماعى للإمبراطورية البيزنطية . إذ أن الجيش القديم الذى تألف من منمتبربرين مأجورين لم يعد له وجود ، ولم يبق منه إلا الحرس الامبراطورى بالقسطنطينية ، وحل مكانه جيش جديد من الجند الفلاحين ، واستقر هذا الجيش فيما يعرف بالأجناد أو الثغور . وقامت الدولة بتقسيم الأراضى التى نزل بها الجيش إلى ضياع Stratioka klemate ووزعتها على الجند ، تفى الواحدة منها بحاجات أسرة بأكملها ، وتتوارث الأسرة الحقل بشرط أن يقوم المستأجر بتأدية الخدمة الحربية [٢]. وللجندى الفلاح أن يحوز من الأرض ما يكفى لمعيشته بشرط أن يكون فى استطاعته هو وأسرته القيام على زراعتها وينبغى ألا يقل ما يحوزه الجندى عن ضيعة يقدر ثمنها بأربعة أرطال من الذهب ، وينبغى ألا يتصرف فيها بالبيع أو الشراء ، فإذا زادت المساحة على هذا الحد جاز له أن يبيع الزيادة . وجرت العادة بأن يرث الضيعة الإبن الاكبر على أن يقوم بتأدية الواجبات العسكرية ، ويعمل الأبناء الصغار فلاحين فى زراعة الأرض ويدفعون ما هو مقرر عليها من ضرائب ، دون أن ترتبط أرضهم بالواجبات العسكرية . وغدت لفظة Stratiotes يقصد بها الفلاح الذى يستقر بالإقليم ويجوز أن يمتلك من الأرض ما يضارع فى المساحة أقطاع الفارس الغربى . وعند استدعائه للخدمة الحربية عليه أن يتقدم مزوداً بكامل الأسلحة وبفرس جيد . وعليه أن يدفع بعض الضرائب عن ضيعته الصغيرة [٣] . وفى أثناء خدمته الحربية يتقاضى راتباً صغيراً فيأخذ فى السنة الأولى نوميزما واحدة ، وفى السنة الثانية نوميزمتين ،

---

(١)
(٢) أ...

ويزداد الراتب حتى يبلغ ما يتقاضاه ثمانى عشرة نوميزمة[١].

ومن النتائج التى ترتبت كذلك على قيام الثغور أنه أصبح من اليسير تجنيد جيش من داخل الامبراطورية البيزنطية ، بعد أن جرى استخدام الجند المأجورة من المتبربرين فى الجيش زمناً طويلا ، كما أن ما تنفقه الحكومة على الجيش والدفاع عن الامبراطورية من أموال قد انخفض مقدارها بسبب توزيع الأراضى على الجند . يضاف إلى ذلك أنه تألفت طبقة من الجند الفلاحين — لا من الارستقراطية كما هو الحال فى الغرب — اشتهرت بالحرص الشديد والغيرة القوية على الدفاع عن أملاكها التى تعتمد عليها فى معيشتها وفى شراء الأسلحة ، فضلا عما تدفعه من ضرائب للدولة[٢].

ومن الملحوظ أن قادة الثغور الأسيوية والقواعد البحرية وقائدى ثغرى تراقيا ومقدونيا تناولوا مرتباتهم من الخزانة العامة مباشرة . بينما تقاضى حكام الثغور الأوروبية مرتباتهم مما يتحصل من أقاليمهم من ضرائب[٣]. وتدرجت ارزاق قادة الثغور فى آسيا من ٢٠ رطلا من الذهب إلى ٤٠ رطلا فى السنة (٢١٦٠٠ — ٤٣٢٠٠ من الفرنكات الذهبية) . أما حكام المراكز الثغرية Turmarchs فلم يقل ما يتقاضاه الواحد منهم على ثلاثة أرطال (٣٢٤٠ فرنكا ذهبياً)[٤] . على أن الدولة صارت تنفق سنوياً على الجيش فى الثغور الشرقية وتراقيا ومقدونيا مبالغ تتراوح بين ٥٠٠ ألف فرنكا ذهبياً ، ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنكا ذهبياً[٥].

لم يرد فى المصادر اليونانية أو العربية ما يشير بالدقة إلى عدد الجند

---

(١) أنظر Runciman : The Byzantine Civilisation p. 145 - 146
(٢) أنظر Kantarowicy : op. cit p. 157
(٣) أنظر Bury : op. cit p. 225
(٤) أنظر Runciman : The Byzantine Civalisation p. 145
(٥) Runciman : The Byzantine Civilisation p. 146

المرابطين بكل ثغر من الثغور ، ولاشك فى أن اختلاف هذه الثغور بعضها عن بعض من حيث الأهمية الاستراتيجيه وضخامة المساحة والموقع كان له أثر كبير فى عدد من يرابط بها من الجند . وأشار الأستاذ بيورى Bury إلى ما كان يرابط ببعض هذه الثغور من القوات الحربية فى القرن التاسع الميلادى فأورد عدد القوات الآتية ترجيحا .

بافلاجونيا	٤,٠٠٠ جندى
الارمنياك	٨,٠٠٠ جندى
تراقسيان	٨,٠٠٠ جندى
البقلار	٨,٠٠٠ جندى
تراقيا	٥,٠٠٠ جندى
مقدونية	٥,٠٠٠ جندى[1]

وأقصى عدد بلغه الجيش البيزنطى كان ١٢٠ ألف جندى ، أقام منهم سبعون ألف فى الثغور الشرقية ، واستقر الباقون فى الثغور الغربية والعاصمة . يضاف إلى هؤلاء عدد كبير من غلمان المعسكر الذين يصحبون الجيش فى حركاته وتنقلاته ، ويقومون بنصب الخيام وحفر الخنادق ، فضلا عن وحدات من المهندسين والأطباء تتولى إقامة المعسكرات ليلا وإسعاف الجرحى والمصابين وتوفير أسباب الراحة لهم[2] .

على أن الجند الفلاحين لم يكونوا جميعاً من أصل يونانى ، بل إن كثيراً منهم جاء من أصل أجنبى ، فتكاثر عدد الأرمن النازلين فى الثغور ، كما كان بين الجند عدد غير قليل من الصقالبة والأجناس الأخرى[3] :

واستمر نظام الثغور قوياً فعالا مدة ثلاثة قرون ونصف قرن من الزمان .

(١) أنظر
(٢) أنظر
(٣)

ومن المعروف أن عصر الجند الفلاحين يتفق مع أزهى عصور التاريخ البيزنطى . فنظام الثغور لم يعمل فحسب على بعث القوة الحربية البيزنطية ، بل صار له آثار اجتماعية خطيرة الشأن ، إذ أن الجندى الفلاح القوى ، والفلاحة التى درج عليها أبناء هؤلاء الجند من خير الوسائل لوقف نفوذ كبار الملاك dynatoi والحد من أطماعهم[1]

وفى هذه الظروف التى استمرت حتى منتصف القرن الحادى عشر أخذت الدولة البيزنطية تزداد قوة وتماسكا . واستطاعت أن تسترجع أجزاء كثيرة من الأراضى التى فقدتها بآسيا الصغرى والبلقان . غير أن ذلك لم يقض مطلقاً على ما كان يختمر فى داخل البلاد من تطور وتحول نحـــو النظام الإقطاعى وتفكك فى القوة الحربية فى الثغور[2] .

(١) أنظر Kautorowicy : op cit p, 158
(٢) أنظر Ibrid p. 158
Runciman : The Byzantine Civilisation p. 147

المصادر والمراجع

Brooks, E.W. Arabic Lists of the Byzantine Themes. Journal of the Hellenic Stndics Vol. XXI (1901).

Bury, J. B. : History of the Eastern Roman Empire. London 1912.

Diehl, Charles : L'origrne du régime des themes dans l'Empire Byzantin (Etudes Byzantines Paris 1905)

Kantarowicy, Ernest H. Feudalism in the Byzantine Empire. (Feudalism in History Edited by Rushton Coulton. Princeton 1956).

Runciman, Steven : The Byzantine Civisation. London 1948. The Medieval Manichee, Cambridge. 1955.

Vasilierv, A. A. : The Byzantine Enpire Wisconsin Univesity Press 1952.

Byzance et les Arabes Trad. Gregoire et Canard Vol. I Bruselles 1935.

ابن خرداذبه : كتاب المسالك والممالك — نشر دى غويه — ليدى ١٣٠٦ هـ

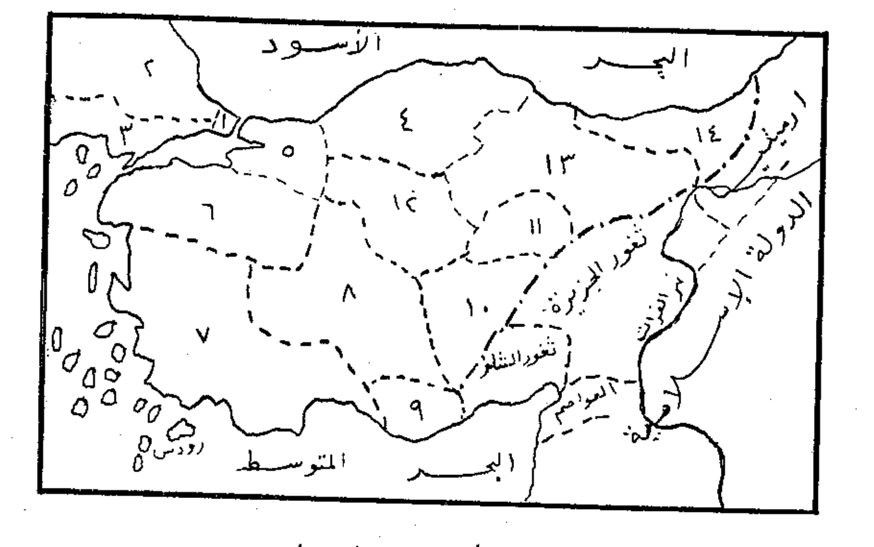
المسعودى : كتاب التنبيه والاشراف — نشر دى غويه ليدن ١٨٩٣ م

بينز (نورمان) — الامبراطورية البيزنطية ترجمة الدكتور مؤنس — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة سنة ١٩٥٠

فازيلييف : العرب والروم — ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة — دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٥٠

قدامة بن جعفر : كتاب الخراج — نشر دى غويه — ليدن سنة ١٩٠٦ (المكتبة الجغرافية — الجزء السادس)

ياقوت : معجم البلدان — نشر وستنفلد — ليزج .



أجناد الروم فى القرن التاسع الميلادى

١ — طالايا - طايالا - طافلا	Talaya
٢ — تراقيا	Thrace
٣ — مقدونيا	Macedonia
٤ — بافلاجونيا	Paphlagonia
٥ — الأفطى ملطى	Optimatoi
٦ — الأبسيق	Opsikion
٧ — ترقسيس	Thrakesioi
٨ — الناطلوس	Anatalikoi
٩ — سلوقية	Seleukeia
١٠ — القبادق	Cappadocia
١١ — خرسنه	Charsianon
١٢ — البقلار	Buccellarii
١٣ — لارمينياق	Armeniakoi
١٤ — الخالدية	Chaldia